جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

عَدَدٌ خَاصٌّ

عَنِ العلَّامة السيِّد عليّ ابن طاووس قدس سره

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ:

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّة

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّة

السَّنَةُ (الثالثة)/المجلَّدُ (الثالث)/العَدَدُ (العاشر)

ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/كانون الأوَّل ٢٠١٨م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.- الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة. ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦-
مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم
فصليَّة.-السنة الثالثة، المجلَّد الثالث، العدد العاشر (كانون الأوَّل ٢٠١٨)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة وكشَّافات.
النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة الإنجليزيَّة.
١. العلماء المسلمون (شيعة)--العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٢. آل طاووس (أسرة) العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٣. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ألف. العنوان
LCC: BP192.8 .A8374 2018 VOL.3 NO. 10
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

المنهج الكلاميّ عند السيِّد ابن طاووس

The Verbal approach of Sayyid Ibn Tawoos

الشيخ علي الربّاني الكلبايكانيّ[١]

الأستاذ محمَّد التوكليّ[٢]

ترجمة أيُّوب الفاضليّ

راجعه وصحَّحه وعلَّق عليه: أ.د. عليّ الأعرجيّ

مركز تراث الحِلَّة

Sheikh Ali Al-Rabbani Al-Kalabaikani

Prof. Mohammed Al-Tawakuli

Translated by: Ayoub Al-Fadhli

Reviewed, Corrected and Commented by:

Prof. Dr. Ali Al-Araji

Hilla Heritage Center

ملخَّص البحث

المُقرَّر أن نكشف منهج السيِّد ابن طاووس الكلاميَّ عِبْرَ كتابِه الكلاميّ الوحيد (شفاء العقول من داء الغفول في علم الأصول)، ولكن للأسف هذا الكتاب مفقود؛ فلا بدَّ من التوسُّل بطرائقَ أُخر لمعرفة منهجه الكلاميّ، عِبْرَ ما كتبه في دائرة الكلام النقليّ، كمبحث الإمامة، وأيضًا الرُّجوع إلى كُتبه غير الكلاميَّة التي كانتْ تدورُ حول الولاية، والإمامة، والعقيدة في الأدعية، ويمكن العثورُ على سائر المباحث العقديَّة في آثاره؛ ففيها أبحاثٌ كلاميَّة غير مباحثِ الإمامةِ.

كما أنَّ له علاقةً مميَّزةً بالأدعيةِ، والمطالبِ المعنويَّة، وكذلك ببحث الإمامة، ولا يكادُ يخلُو كتابٌ منْ مؤلَّفاتِه من مبحث الإمامة سواء أكان التعرض لذلك بالإجمالِ أم بالتَّفصيل كبحثِ تنصيب الله للإمام عليّ عليه السلام، ونصّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله على إمامة الإمام عليّ عليه السلام، وما إلى ذلك من مسائلَ ذاتِ العَلاقة.

Abstract

We suppose to reveal the approach of this great scientist through his only written book (Shifa'a Aleuqul Min Da'a Alghafool Fi Eilm Al'usool), but unfortunately this book is missing; it is necessary to beg in other ways to know his approach, through what he wrote in the circling of speech, like the study of the "Imamate research", as well as to his non-verbal books, which were about the Al-Wilaya, the Imama, and the doctrine in the supplications, also can be found in the other researches about his effects in this dimension ; also there are verbal researches not about Imama but it has its own impact on that field.

تقديم

نبذةٌ عن السيِّد ابن طاووس وآثاره

السـيِّد رضيّ الدين أبو القاسـم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد، وُلِدَ في منتصف المحرَّم سنة تسع وثمانين وخمسمائة في مدينة الحِلَّة، وانتقل إلى بغدادَ وكانتْ وفاتُه فيها في يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة سـنة ٦٦٤هـ، وحُمل ﷺ إلى النجف، ودُفن عند أمير المؤمنين عليه السلام.

وكان ابن طاووس من أعاظم علماء الشِّـيعة، وكان أجداده لأمِّه من العلماء الكبار كالشيخ الطوسيّ (٣٨٦-٤٦٠هـ)، وورَّام بن أبي فراس (ت٦٠٥هـ).

ودرس عند والده، وجدِّه لأمِّه السـيِّد سعد الدين الموسويّ (ت٦٢٠هـ)، والشيخ ورَّام (٦٠٥هـ)، والسـيِّد شـمس الدين فخـار بن معد الموسـويّ (ت٦٣٠هـ)، ومحبّ الدين محمَّد بن محمود الشّـافعيّ (ت٦٤٣هـ)، والشـيخ أبو السـعادات ابن عبد القاهر الأصفهانيّ، والشّـيخ سـديد الدّين يوسـف بن عليّ بـن المطهَّر (والد العلَّامـة الحِلِّيّ)، والشيخ جمال الدين بن حاتِم الشاميّ، وغيرهم[٣].

وكان السيِّد ابن طاووس مشهورًا في نقل وتدوين الأدعية، والزِّيارات، والرِّوايات الأخلاقيَّة، والكلاميَّة، كما لا يخْفى.

ويتمتَّـع السـيِّد بمقامـاتٍ علميَّة، ومعنويَّة عاليـة، ويكنُّ له العلـماءُ كلَّ الاحترام والتبجيل[٤].

ألَّف ابن طاووس في علومٍ مُختلفة ما يقرب من ثمانية وأربعين كتابًا، كما هو مذكورٌ في الذَّريعة[٥]، والأعيان[٦]، وأمل الآمل[٧]، وغيرها.

وكان بعض تلك الكتب ذا بُعدٍ عقديٍّ، منها:

١. شفاء العقول من داء الفضول في علم الأصول، وهذا الكتاب هو مقدِّمةٌ لعلم الكلام، وهو الكتاب الوحيد الذي ألَّفه السيِّد بحسب المنهج الكلاميّ، إلَّا أنَّه لم يصِلْ إلينا.

٢. الأنوار الباهرة في انتصار العِترة الطَّاهرة، أثبت في هذا الكتاب الخلافة لأهل البيت عليهم السلام.

٣. البِشارات بقضاء الحاجات على يد الأئمَّة بعد المِمات[٨]، يتحدَّث هذا الكتاب عن المدِّ من أهل البيت عليهم السلام للمؤمنين في الدُّنيا والآخرة.

وثمَّة كتبٌ أُخرى له رحمه الله تتمحور في الدِّفاع عن الإمامة، وإثبات الأفضليَّة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، منها:

١. ريُّ الظمآن من مرويِّ محمَّد بن عبد الله بن سليمان.

٢. اليقين في اختصاصِ مولانا عليّ بإمرةِ المؤمنين.

٣. التَّحصين لأسرار ما زادَ من أخبار كتاب اليقين.

٤. الطَّرائف في معرفة مذاهب الطَّوائف.

٥. الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر.

وأمَّا كتابه (كشفُ المحجَّة لثمرة البهجة)[٩]، مع أنَّه لم يكن كتابًا كلاميًّا، إلَّا أنَّه اشتمل على آراء واستدلالاتٍ كلاميَّة لهُ.

ويعـدُّ هذا الكتـاب بالحقيقـة وصيَّته ﷺ لابنـه محمَّـد، تضمَّنـتْ آراءَهُ، ونفحات أخلاقيَّة، واجتماعيَّة لنيل السَّعادة، والكمال في الدَّارين.

وضمَّ أيضًا أسرارَ ما لاقاه في حياتِهِ، وقدَّمهُ لابنه بعنوان النَّصيحةِ والوصيَّةِ.

وما ينبغي الإشارة لهُ أنَّ هذا البحث قد استلهمَ كثيرًا من هذا الكتاب (الوصيَّة).

أُسلوب التَّدوين والتَّأليف عند السيِّد ابن طاووس

المُقرر أن نكشـفَ منهجَ السيِّد الكلاميَّ عِبْرَ كتابِه الكلاميّ الوحيد (شفاء العقول مـن داء الغفـول[10] في علـم الأصول)، ولكن للأسـف هـذا الكتاب مفقـود؛ فلا بدَّ مـن التوسُّـل بطرائقَ أُخر لمعرفة منهجـه الكلاميّ، عِبْرَ ما كتبه في دائـرة الكلام النقليّ، كمبحـث الإمامـة، وأيضًا الرُّجـوع إلى كُتبه غـير الكلاميَّة[11] التي كانـتْ تدورُ حول الولايـة، والإمامة، والعقيدة في الأدعية، ويمكن العثورُ على سـائر المباحث العقديَّة في آثاره؛ ففيها أبحاثٌ كلاميَّة غير مباحثِ الإمامةِ.

كـما أنَّ له ﷺ علاقةً مميَّـزةً بالأدعيةِ، والمطالـبِ المعنويَّة، وكذلـك ببحث الإمامة، ولا يكادُ يخلُو كتابٌ منْ مؤلَّفاته من مبحث الإمامة سواء أكان التعرُّض لذلك بالإجمالِ أم بالتَّفصيـل، كبحث تنصيب الله ﷻ للإمام عـليّ عليه السلام، ونصّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله على إمامة الإمام عليّ عليه السلام، وما إلى ذلك من المسائل ذات العلاقة.

ونلاحـظُ ابنَ طاووسٍ- في مصنَّفاتِه في باب الإمامة- يسـتقِي من الفكر الكلاميِّ ذي المنحى العقليّ مثلًا: نقدَ ودَحَضَ ﷺ ما ذكره أبناءُ العامَّة من وجوهٍ لإثبات إمامة أبي بكر وأفضليَّته، وأيضًا أجاب عمَّا يُشـكلُهُ أبناءُ العامَّة على النظريَّة الشيعيَّة، ونقدِ خِلافَةِ الخُلفاء، وسـلوكَ كلِّ واحدٍ منهُم، بدقَّةٍ فائقةٍ وعدم أحقيَّتهم في الخِلافة، وما حصل في

السَّقيفة ما هو إلَّا انقلابٌ على الحقِّ، وهو تعيين أبي بكرٍ للخِلافة[١٢].

ومنْ مؤلَّفاته كتاب (الطَّرائفُ في معرفة مذاهب الطَّوائف)، وهذا الكتابُ له بُعدٌ، وأسلوبٌ جذَّابٌ، ومؤثِّرٌ، وقد أفادَ فيه من فنِّ القصَّة في التَّنظير لذلك، ومفاد القصَّة هو: إنَّ شخصًا آمنَ بالإسلام، إلَّا أنَّه رأى الاختلافاتِ، وكثرة المذاهب فيه؛ فقرَّر أن يجدَّ ويجتهدَ لمعرفة أيّ المذاهب هو الحقُّ، وبعد جولةٍ طويلةٍ منَ البحثِ، والتَّحقيق في المصادر، والمراجع لكلِّ المذاهب الإسلاميَّة تبيَّن أنَّ هناك مذهبًا اسمُه الشِّيعةُ الإماميَّة الاثنا عشريَّة، مبانيهُم وأسسهُم توافق الكتابَ والعقلَ، ومعتقداتُهم - بخلاف غيرهم- تخلُو منَ التَّناقُض والتَّهافُت، وفي ضوء هذه المُعطيات آمَنَ بمذهب الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة على بصيرةٍ من أمره.

مكانةُ المعرفة العقليَّة عندَ السيِّد ابن طاووس

يمكن ملاحظةُ العقل عند ابن طاووس مِنْ مِنْظارين:

الأوَّل: العقل المقبول، أو العقل الفطريّ نفسه، والمُراد به من مِنظار السيِّد هو الذي أودعهُ اللهُ في كلِّ البشريَّة، ويمكن لهذا العقل الفِطريِّ إنارةُ طريق العِباد؛ لمعرفة اللهِ بعيدًا عنِ الاستدلالاتِ الكلاميَّة المُعقَّدة، وأيضًا يمكن للإنسانِ عِبرَ هذا العقل الفطريّ التعرُّفُ على الله بالسَّير الأنفُسيِّ، والآفاقيّ.

وهذا هو العقلُ السَّليمُ المُستقيمُ غيرُ المُلوَّثِ بالشُّكوك، والوساوس[١٣].

الثَّاني: العقل الكلاميّ، والاستدلاليّ، وهو الذي يفيدُ منه المُتكلِّمون والفلاسفة، في إثبات مسائلهم ومطالبهم كما هو مشروح في كتبهم، فراجِع.

وممَّن يمثِّلُ هذا الاتِّجاهَ المُعتزلة؛ ولذا نرى أن السيِّد ردَّ على منهجهم الذي مفادُه

الظـنُّ لا اليقـين، فضلًا عن وجود ثغراتٍ كثيرةٍ فيه لا سـيَّما في تحصيل اليقين، ومن هنا تعامل بعضُهم مع هذا النَّحو من المناهج بحذرٍ[١٤].

يقـول ابنُ طـاووس في هذا السِّـياق: «واعلمْ أنَّنـي إنَّما تركـتُ التَّصنيفَ في علم الكلام إلَّا مقدمةً كتبتُها ارتجالًا في الأصول سـمَّيتها (شـفاء العقـول من داء الغفول)؛ لأنَّني وجـدتُ طريـق المعرفـةِ به بعيـدةً على أهـل الإسـلام، وأنَّ الله جلّ جلاله، ورسـولَهُ وخاصَّتَـهُ، والأنبياءَ قبلَه قدْ قنَعُوا مِنَ الأُممِ بدون ذلـك التَّطويلِ، ورضُوا بما لا بدَّ منه من الدَّليل؛ فَسرتُ وراءَهُمْ على ذلك السَّبيل، وعرفتُ أنَّ هذه المقالات يحتاجُ إليها من يلي المُناظرات، والمُجادلات، وفيما صنَّفه النَّاسُ مثلَ هذه الأسـباب غِنًى عن أن أخاطرَ بالدُّخـول معهم في ذلك البـاب، وهو شيءٌ حدث بعدَ صاحب النُّبـوَّةِ، وبعدَ خاصَّتِهِ، وصحابته»[١٥].

طريق معرفة الله الفطريَّة

انتقـد ابـن طـاووس النَّزعـة العقليَّـة للمُعتزلة؛ قـال في هـذا الصـدد: «وإيَّاك، ومـا عقـدتِ المُعتزلة، ومـن تابعهم عـلى طريقتهم البعيدةِ مـنَ اليقين؛ فإنَّنـي اعتبرتُها فوجدتُها كثيرةَ الاحتمال لشُبهات المُعترضينَ، إلَّا قليلٌ منها سلكهُ أهلُ الدِّين»[١٦].

وذكـرَ أنَّ معرفةَ تلك المَعارفِ مُمكنةٌ من دون هذه التَّعقيداتِ[١٧] بفطرة العقل[١٨]، وقدْ أودعَ اللهُ تعالى معرفته في فطرة الإنسـان، ومن هنـا كانت وظيفة العلماء والمفكِّرين إرشـادَ النَّـاس إلى وجـود الله تعـالى، لا إثارةَ الشُّـبهات، والشُّـكوك، والقـول من أنَّه لا يمكن إثبات وجود الله إلَّا عنْ طريق العرضِ، والجوهر[١٩].

ولـذا نـراهُ يشـنُّ نقدًا لاذعًـا على من يحرفُ الإنسـان عن مسـار فطرتـه، ويبعدُه عنها[٢٠].

ويعتقدُ ابنُ طاووسٍ أنَّ أسهلَ طريقٍ هو فطرةُ العقل، ولهُ تصريحٌ في هذا، يقول فيه: إنَّ هذا الطريقَ سهلٌ، ويطْوي المسافاتِ، ومنه يصل الإنسان إلى الجنَّةِ، ومنْ يرِدِ الفوزَ بالدَّارينِ يتبعْ هذا المنهج؛ فإنّه يكفيه، ولا يحتاج شيئًا آخر حينئذٍ.

ويضرب ابنُ طاووس مثالًا على ذلك؛ فيقول: «إنَّك تجد ابن آدم إذا كان له نحوٌ من سبع سنين، وإلى قبل بلوغه إلى مقام المكلَّفين، لو كان جالسًا معَ جماعةٍ؛ فالتفتَ إلى ورائه؛ فجعل واحدٌ منهم بين يديه شيئًا مأكولا[٢١]، أو غيره من الأشياء؛ فإنّه إذا رآه سبقَ إلى تصويره وإلهامه أنّ ذلك الموكول، أو غيره حضر بذاته، وإنَّما أحضره غيرُه، ويعلم ذلك على غايةٍ عظيمةٍ منَ التَّحقيق، والكشف، والضِّياء، والجلاء...»[٢٢].

الأدلَّةُ الفطريَّة على وجود الله تعالى

الأوَّل: الآيات القرآنيَّة

يرى ابنُ طاووسٍ أنّ هناك آياتٍ كريماتٍ تتضمَّنُ معرفةَ الله الفطريَّة[٢٣]، وهي:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها...﴾[٢٤].

و﴿اللهُ يمُنُّ عَلَيكمْ أَنْ هَداكمْ لِلْإيمانِ إِنْ كنْتُمْ صادِقِينَ﴾[٢٥].

و﴿وَلَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيكمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدا...﴾[٢٦]-[٢٧].

الثَّاني: سيرةُ وسنَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأصحاب الأئمَّة

ألمحَ السيِّد منْ غيرِ تصريحٍ إلى إيمانه من عدم الاحتياج إلى الاستدلالات الكلاميَّة، يقول في هذا الصدد: «وترى علوم سيِّدِنا خاتم الأنبياء، وعلوم من سلفَ منَ الأنبياء صلوات الله عليه وآله، وعليهم على سبيل كتب الله جل جلاله المنزَّلة عليهم في التَّنبيه اللطيف،

والتَّشريف بالتَّكليف، ومضى على ذلك الصَّدر الأوَّل من علماء المسلمين، وإلى أواخر أيَّام من كان ظاهرًا منَ الأئمَّة المعصومينَ عليهم السلامُ أجمعين»[٢٨].

وعليه فعِبر هذه البياناتِ هذا هو المنهج الخالي منَ التَّعقيد الكلاميِّ الاستدلاليّ كما يؤمن به ابنُ طاووسٍ.

الثَّالث: معرفة الله غير معيَّنةٍ بزمانٍ

«نجدُ أكثرَ العارفينَ لا يعرفون وقتَ معرفتِهم بهﷻ، ولا يوم ذلك، ولا ليلته، ولا شهره ولا سنته، ولو كان بمجرّد كسبهم ونظرهم قدْ عرفوهُ لكان وقتُ ذلك، أو ما قاربه قد فهموه؛ لأنَّك تجد العقلَ شاهدًا أنَّ من عرف سلطانًا عظيمًا بعد أن كان جاهلًا بمعرفته، وكان وجهُ التَّعريف به من جهةٍ يدركُها الإنسان باجتهادِه وهمّته؛ فإنَّه يعرف وقت المعرفة بذلك السُّلطان، أو ما يقارب ذلك الزَّمان، وإنَّما اللهﷻ يسلك بالعبد الضَّعيف إلى التَّعريف تسليكًا يقصُرُ فهمُه عنه؛ فلذلك لا يعرف وقت المعرفة، ولا ما قارب منه»[٢٩].

الرابع: يعتقدُ أصحاب النَّزعة العقليَّة الأعمال على أساس المعرفة الفطريَّة صحيحة، وقبل المعرفة الاستدلاليَّة

يصحِّح أصحابُ النَّزعة العقليَّة ما عمله الإنسانُ بعد بلوغه، وتكليفه على طبق المعرفة الفطريَّة، وقبل الاستدلال بالأدلَّة العقليَّة.

ومنْ هُنا يسجِّلُ ابن طاووس عليهم ملاحظة فحواها: لو لم يعتقدوا بصحَّته، وإجزائه لقالوا بوجوب الإعادة في ما عمِلَ، كما هو المفروضُ، ولكنْ لم يقُلْ به أحدٌ منهُمْ.

يقول السيِّدُ في هذا الصَّدد: «إنَّنا رأينا وسمعْنا وعرفْنا عنهُم إذا بقوا بعد البلوغ، والتَّكليف مدّةً من أعمارهم على الفطرة الأزليَّة، والمعرفة الصادرة من التَّنبيهات العقليَّة، والنقليَّة؛ ثمَّ اشتغلوا بعد مدَّة طويلة بعلمِ الكلام، وبما تَجدَّدَ بعد الصدر الأوَّل منْ قواعدهم في صدر الإسلام، وعلموا منه ما لم يكونوا يعلمونهُ؛ فإنّنا نراهم، ونعلم من حالهم أنّهم لا يُبطلون شيئًا من تكليفهم الأوَّل بالشرعيَّات، ولا ينقضونه؛ فلو كانت معرفتهم بالله جلّ جلاله ما صحَّتْ إلَّا بنظرهم الآنف كان مقتضى جهلهم بالله مع تفريطهم الأوَّل في معرفته مع إظهارهم لشعار الإسلام يلزم منه قضاء ما عملوا من التَّكليف السَّالف»[٣٠].

الخامس: ملاكُ الارتداد

ويشير ابنُ طاووس إلى دليلٍ آخر، مفادُه: لوِ ارتدَّ إنسانٌ بعدَ بُلوغه، ورُشده يقالُ عنهُ: ارتدَّ عنْ فطرةَ الإسلام، وإنَّه كفرَ بعدَ الإسلام؛ فحكمُه القتلُ؛ فلوْ لمْ يكُنْ هذا الإيمان الفطريُّ كافيًا لما حكموا بقتله، مع أنّ هذا الإيمان ليس على مسلكهم ومنهجم، وقال ابن طاووس في بيان ذلك: «إنَّ المعرفة محكومٌ بخصوصها للإنسان دون ما ذكره أصحاب اللسان؛ لأنَّهم لو عرفوا من مكّلفٍ وُلِدَ على الفطرة حرٍّ عاقلٍ عُقيب بلوغه ورشده بأحد أسباب الرُّشد أنَّه قدِ ارتدَّ برِدَّةٍ، يحكم فيها ظاهر الشَّرع بأحكام الارتداد، وأشاروا بقتله، وقالوا: قد ارتدَّ عن فطرة الإسلام، وتقلَّدوا إباحة دمه وماله، وشهدوا أنَّه كفرَ بعد الإسلام؛ فلولا أنَّ العقولَ قاضيةٌ بالاكتفاء، والغناء بإيمان الفِطرة، ودون ما ذكروه من طول الفكرة، كيف كان يحكم على هذا بالردَّة، وقد عرفوا أنَّه ما يعلمُ حقيقةً من حقائقهم، ولا سلك طريقًا من طرائقهم، ولا تردَّد إلى مُعلّم من علماء المسلمين، ولا فهِمَ شيئًا من ألفاظ المتكلّمين، ولوِ اعتذرَ إليهم عن معرفة الدَّليل بالأعذار التي

أوجبوهـا عليه مـنَ النَّظر الطَّويل ما قبلوهـا منه، ونقضُوا ما كانـوا أوجبوه، وخرجوا عنه»[٣١].

نقد منهج النَّزعة العقليَّة (منهج المتكلِّمين)

وممَّا ينبغي الإشـارة إليه أنَّ ابن طاووسٍ لا ينتقد مطلقَ منهج المتكلِّمين، ولا يريد أن يقولَ إنّ وجوب الاسـتدلال لا قيمةَ له؛ بل لا يؤمن السـيِّدُ بالعقل مستقلًّا، وقادرًا عـلى الكشـف التَّفصيليِّ لمُراد الله، وهو يقـرُّ أنَّ هناك مواردَ تحتـاجُ إلى العقل إلَّا أنّه غيرُ كافٍ.

وأنَّه ﷺ يقرُّ بدراسـته عند علماء الكلام (علمَ الكلام)[٣٢]، ويذكر أنَّه له صديق من المتعلِّمين علَّمهُ الكلام[٣٣].

وكذا لابن طـاووسٍ مؤلَّفات، وأحيانًا يتطرَّق لعلم الكلام بصورةٍ مباشَرةٍ، وذكر في وصيَّته لابنه مطالعة بعض الموارد.

قد خاض السـيِّدُ بعضَ المُناظرات الكلاميَّة مع بعـض المتكلِّمين[٣٤]، وأيضًا انتقد ما حصل من اختلاف بين (الشَّيخ المُفيد)، و(السيِّد المُرتضى)[٣٥].

ونراهُ أيضًا في بعضِ المَوارد يُرجِعُ القرَّاء إلى بعض الكتب الكلاميَّة، كما هو مذكورٌ في كتبه[٣٦].

وفي ضوء ما تقدَّم يتبيَّن أنَّ ابن طاووس لم يكُن موقفُه سـلبيًّا من علم الكلام بنحو كلِّيٍّ، نعم إنَّما له نظرةٌ إيجابيَّةٌ بعلم الكلام في الجملة.

وكذا لا يعدُّه من العلوم الإسلاميَّة الأصيلة، ومنشؤُ هذه النَّظرة للسيِّد ممَّا دوَّنه من إشكالات على علم الكلام، وإليك الإشكالات:

١. لا نهايةَ للمنهج الاستدلاليِّ

يعتقدُ ابنُ طاووسٍ أنَّ استعمالَ هذه الطَّريقة في المباحث العقديَّة مضيعةٌ للعُمر(٣٧).

وسببُ هذا الاعتقاد لدى ابن طاووس هو إنَّ طريق الاستدلال لا يقفُ عند حدٍّ؛ فهو دائمًا في معرِض النَّقد؛ فالإنسان المؤمن بعصا البحث والاستدلال يصلُ إلى الله تعالى عبْرَ معرفة الله بطريقة معرفة الجوهر: والعرض و... فلا هو بدهيّ، ولا تفهيمه يخلُو من الإشكالات، والشُّبهات.

«ومتى عرض له طعنٌ قويٌّ أعادهُ ذلك الطَّعنُ إلى الاستدلال، والتكشيف؛ فتراه متردِّدًا في العقائد بين ساكنٍ وعائدٍ إلى أن يموت لعلَّه يجوّز حدوث القوادح، وقد كان قبل ذلك التعليم؛ لسكونه إلى معرفته المؤثر جملة سكون اعتقاد قويّ راجح، وكان آمنًا ممَّا صار لا يأمن من تجدُّد المَطاعن، والمُعارضات والقوادح»(٣٨).

٢. طريقة المتكلّمين محفوفة بالمخاطر وبعيدة عنِ المطلوب

مع أنَّ ابن طاووسٍ لا ينفي طريق العقل بشكلٍ عامٍّ(٣٩)؛ فهو يعتقد أنَّ المنهج الاستدلاليّ ليس هو الطريق الوحيد لمعرفة الله تعالى كما يزعم العقليُّون(٤٠)، كما أنَّ طريقتهم بعيدةٌ، وشديدةُ الخُطورة(٤١)، ومعه فطريقهم إمَّا لا يوصِلُ، أو صعبٌ(٤٢)؛ ولذا لا قيمةَ لهُ.

ولابن طاووسٍ تصريح في هذا السِّياق؛ إذ يقول: «إنَّ قولي هذا ما هو ممَّا أقصد به أنَّ النَّظر في الجواهر، والأجسام، والأعراض لا يجوز، أو أنَّه ما هو طريق إلى المعرفة على بعض الوجوه، والأعراض؛ بل هو من جملة الطرق البعيدة، والمسالك الخطيرة الشديدة، التي لا يؤمَن معها ما يخرج بالكليَّة عنها»(٤٣).

وفي موضع آخر، يقول: «واعلم أنّني إنّما تركتُ التَّصنيف في علم الكلام إلَّا مقدِّمة كتبتُها ارتجالًا في الأصول سمَّيتها (شفاء العقول من داء الغفول)؛ لأنّني وجدت طريق المعرفة به بعيدة على أهل الإسلام، وأنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ، ورسوله، وخاصَّته، والأنبياء قبله قد قنعوا من الأمم بدون ذلك التَّطويل، ورضوا بما لا بدَّ منه منَ الدَّليل؛ فسرتُ وراءَهم على ذلك السبيل، وعرفتُ أنَّ هذه المقالات يحتاج إليها من يلي المُناظرات، والمجادلات، وفي ما صنَّفه النَّاسُ مثلَ هذه الأسباب غِنًى عن أن أُخاطر بالدُّخول معهم في ذلك الباب، وهو شيءٌ حدثَ بعد صاحب النبوَّة، وبعد خاصَّته، وصحابته خاطر بالدخول معهم على ذلك الباب...»[٤٤].

٣. وقوعُ الاختلاف في طرق[٤٥] المُتكلِّمين

يعتقدُ ابن طاووسٍ أنَّه قد حصلتِ اختلافاتٌ كثيرةٌ لأصحاب النَّزعة العقليَّة في المعارف، والحقائق الإلهيَّة؛ ولذا نحن ننحِّيه جانبًا، ونتمسَّك بالمنهج النصِّيِّ، ويؤيِّد كلامَه قدس سره بما نقله قطب الدِّين الراوندي، قال: «تنبيه: وممَّا يؤكِّد تصديق الرِّوايات بالتَّحذير من علم الكلام، وما فيه من الشُّبهات، أنَّني وجدت الشيخ العالم في علوم كثيرةٍ (قطب الدّين الراوندي)، واسمُه سعيد بن هبة الله رحمه الله قد صنَّف كُرَّاسًا، وهي عندي الآن في الخلاف الذي تجدَّد بين الشَّيخ المُفيد، والسيِّد المُرتضى رحمهما الله، وكانا من أعظم أهل زمانهما، وخاصَّة شيخنا المُفيد؛ فذكرَ في الكُرَّاس نحوَ خمسٍ وتسعين مسألة قدْ وقع الاختلاف بينهما فيها من علم الأصول، وقال في آخرها: لو استوفيت ما اختلفا فيه لطال الكتاب، وهذا يدلُّك على أنّه طريقٌ بعيدٌ في معرفة ربِّ الأرباب»[٤٦].

٤. ذمّ الرِّوايات للطُّرق الاستدلاليَّة في علم الكلام

يؤمن السيِّد أنَّ هناك جملةً من الأحاديث الواردة عن أهل البيتِ عليهم السلام تذمُّ طريقة

المتكلّمين، وتعدُّه طريقًا فاسِدًا، وقد نهى عنه الدِّينُ، وأهمُّ ما ذكره ابن طاووس منْ رواياتٍ، هي:

١. رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: أَرَدْتُ الدُّخُولَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ لِي مُؤْمِنُ الطَّاقِ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقُلْتُ: لَهُ نَعَمْ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَعْلَمْتُهُ مَكَانَهُ، فَقَالَ: **لَا تَأْذَنْ لَهُ عَلَيَّ**، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ انْقِطَاعُهُ إِلَيْكُمْ، وَوَلَاؤُهُ لَكُمْ، وَجِدَالُهُ فِيكُمْ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنْ يَخْصِمَهُ؛ فَقَالَ: **بَلْ يَخْصِمُهُ صَبِيٌّ مِنْ صِبْيَانِ الْكُتَّابِ**؛ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هُوَ أَجْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ خَاصَمَ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ؛ فَخَصَمَهُمْ فَكَيْفَ يَخْصِمُهُ غُلَامٌ مِنَ الْغِلْمَانِ، وَصَبِيٌّ مِنَ الصِّبْيَانِ؛ فَقَالَ: **يَقُولُ لَهُ الصَّبِيُّ أَخْبِرْنِي عَنْ إِمَامِكَ أَمَرَكَ أَنْ تُخَاصِمَ النَّاسَ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ فَيَقُولُ: لَا؛ فَيَقُولُ لَهُ فَأَنْتَ تُخَاصِمُ النَّاسَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَكَ إِمَامُكَ فَأَنْتَ عَاصٍ لَهُ فَيَخْصِمُهُ يَا ابْنَ سِنَانٍ لَا تَأْذَنْ لَهُ عَلَيَّ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ، وَالْخُصُومَاتِ تُفْسِدُ النِّيَّةَ وَتَمْحَقُ الدِّين**[٤٧].

٢. عَنْ عَاصِمٍ الْحَنَّاطِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام، وَأَنَا عِنْدَهُ: **إِيَّاكَ وَأَصْحَابَ الْكَلَامِ وَالْخُصُومَاتِ، وَمُجَالَسَتَهُمْ، فَإِنَّهُمْ تَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِعِلْمِهِ وَتَكَلَّفُوا مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِعِلْمِهِ حَتَّى تَكَلَّفُوا عِلْمَ السَّمَاءِ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ خَالِطِ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَزَائِلْهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ إِنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ فَقِيهًا عَالِمًا حَتَّى يَعْرِف**[٤٨].

٣. عَنْ جَمِيلٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: **مُتَكَلِّمُو هَذِهِ الْعِصَابَةِ مِنْ شِرَارِ مَنْ هُمْ مِنْهُم**[٤٩].

ويعقب السيِّد بعد نقله رواية (جميل)؛ فيقول: «ويُحتمل أن يكون المُراد بهذا الحديث يا ولدي المتكلِّمين الذين يبطلون بكلامهم وعلمهم ما لا يرضاهُ الله جل جلاله، أو يكونوا ممَّن يشغلهم الاشتغال بعلم الكلام عمَّا هو واجب عليهم من فرائض الله جل جلاله...»[٥٠].

والحاصل: إنَّ ابن طاووس يؤكِّد الاستفادةَ منَ العقل الفطريّ، ويحذِّر من المنهج الاستدلاليّ للمتكلِّمين والفلاسفة، مع أنَّه عمليًّا نراهُ يستعمل طريقتهم؛ فمثلًا:

١. إنَّ الله ليس بجسمٍ:

ممَّا استدل به ابن طاووس على إثبات ذلك هو نحوٌ من الأدلَّة العقليَّة، قال: «إنَّ كلَّ مركَّبٍ من الأعضاء؛ فإنَّه لا بدَّ له ممَّن يركِّبه ويؤلِّفه؛ فيجب أن يكون المركَّب مُحدثًا؛ فيحتاج إلى صانعٍ قديمٍ أحدثهُ وألَّفه...»[٥١].

وكذا ما استدلَّ به على نفي الرُّؤية لله ﷻ[٥٢]، وأيضًا من أنَّه تعالى لا مكانَ[٥٣] له، وليس محلًّا للحوادث[٥٤]، وغير ذلك.

٢. الردُّ على الجبريَّة:

كما بحث السيِّد في مسألة القضاء والقدر، ومذهب الجبريَّة، وردَّ عليهم مستعينًا بالعقل في إثبات نظرته[٥٥].

ويعضِّدُ ذلك من أنَّ الإنسان موجودٌ مُختار، أثر أعماله العباديَّة كدعائه، وصدقته يوضِّحُ لنا أنَّه موجودٌ مُختارٌ.

٣. التَّكليفُ بما لا يُطاق مُحالٌ:

وأيضًا تعاطيه مع العقل في مبحث التَّكليف بما لا يُطاق[٥٦]، ونفي اللغويَّة من الثَّواب والعقاب، والردِّ على الجبريَّة[٥٧].

٤. وجوبُ اللطف على الله تعالى:

منَ الأدلَّة التي أقامها ابنُ طاووسٍ على وجوب اللُطف[٥٨] على الله تعالى، ولزوم إرسال الأنبياء (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليهم السلام)، هو الدليل العقليّ.

«إنَّ العقـول ما تقوم بذاتها بكشـف مُراد الله ﷻ منها على التَّفصيـل، وبأنَّها لا بدَّ لهـا من واسـطةٍ بين الله ﷻ وبينها، يدلُّها إلى مُـراده ﷻ في كلِّ ما يحتاج إلى معرفته به من الكثيرِ، والقليل»[٥٩].

٥. وجوبُ بعثة الأنبياء:

وما ألمع إليه في هذا السِّـياق من أدلَّةٍ لإتمام الحُجَّة على العباد بعثة الأنبياء (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليهم السلام)[٦٠].

٦. لزومُ العصمة للأنبياء:

لغرضِ حُصول الوثوق، والاطمئنان[٦١].

٦. معرفةُ النّبيِّ بالمُعجزة[٦٢]:

وممَّا ينبغي التَّنبيه عليه لا مجالَ لتوجيه ذلك إلَّا بالدَّليل العقليِّ، فحسب.

٧. ما يتفرَّع من قاعدة اللُطف من لزوم نصب الإمام[٦٣].

٨. إثبات حدوث الأجسام:

أقـام ابنُ طاووسٍ دليـلًا عقليًّا على ذلك، وإليك نصُّـه: «لأنَّ العقلَ يُدرك أنَّ كلَّ جسـمٍ مؤلَّـفٍ، وكلُّ مؤلَّـفٍ فإنَّه لا بدَّ أن يكـون عريضًا عميقًا بحسـب تأليفه، ومتى خرجت حقيقة الأجسـام عـن حقيقة التَّأليف كانتْ غير أجسـام، ولم يدخلْ في اسـم الجسم بعرف، ولا عقلٍ، ولا شرعٍ، ولا بوصفٍ؛ ثُمَّ كلُّ جسمٍ مُحتاج إلى مكانٍ يحلُّ فيه، ويكـون المكان متقدِّمًا عليه...؛ فالجسـمُ بالضَّرورة متأخِّرٌ عنِ المكان، فهل يبقى شـكٌّ [في] أنَّ كلَّ جسمٍ حادثٌ عند كلِّ من له أدنى نظرٍ يعتمد عليه»[٦٤].

١٠. ضرورةُ نصب الإمام:

استدلَّ ابنُ طاووس على لزوم نصبِ الإمام بالرحمانيَّة، والرحيميَّة[٦٥]، بعد أن عدَّ الوجوب على الله من المَباحث الصَّعبة في باب قاعدة اللطف وهي قاعدةٌ عقليَّة أثبت علماءُ الشّيعة، ومتكلِّموهم على لزوم الإمام عبرَها.

١١. إعمالُ العقل في الموارد الضَّروريَّة:

وممَّا أوعز إليه السيِّد من ضرورة الاستناد إلى العقل، وإعماله في مساحات خاصَّة، وبتعبيره: «إنَّني ما منعت من النَّظر، بل النظرُ واجبٌ على المكلَّف في كلِّ ما يجب فيه نظرُه ممّا لا يدركه إلَّا بالنَّظر والتَّكشيف»[٦٦].

وذكر مثالًا على ذلك لا بأس بنقله قال: «لو فرضْنا أنَّ عبدًا من عباد الله جلّ جلاله ما جعل له في فطرته الأوَّليَّة أنّ الأثر دالٌّ على المؤثِّر بالكليَّة، ولا نبَّهه جلّ جلاله بعد بلوغه وكمال عقله على معرفته، ولا على ما يجب عليه من المعارف بشيءٍ من ابتداء فضله ورحمته؛ فإنّه يجب على هذا العبد النَّظرُ فيما يجب عليه من التَّكليفِ، والتوصُّل في التَّعريف بكلِّ طريقٍ من طُرُقِ التَّحقيق، وعلى كلِّ وجهٍ، وسبيلٍ من سُبُل التَّوفيق»[٦٧].

وفي ضوءِ هذه المَوارد يتَّضحُ كيف استعمل ابنُ طاووسٍ الاستدلال العقليّ، وهو يضاهي طريقةَ استدلال المُتكلِّمين.

مكانة المعرفة النقليَّة في المباحث الكلاميَّة لابن طاووس

لا يخفى عليك ما للسيِّد ابن طاووسٍ من توقٍ واضحٍ نحو المَعارف النقليَّة، كما أنَّه يقول بفطريَّة المعرفة في مبحث معرفة الله، ووجوده تعالى لا يَحتاج إلى دليلٍ وتبيين، وربَّما البيانات الفطريَّة تحرِّفُ الأذهانَ أحيانًا[٦٨].

ومن هنا وانطلاقًا من نظرته قدس سره ينبغي أن يتوجَّه العبدُ للمقدِّمات كي يدركَ ذلك،

وهذا ما قامت به الكتبُ الإلهيَّة السَّابقة والقرآن الكريم، والسِّيرة العمليَّة للأنبياء والنبيّ الأعظم، والأئمَّة الأطهار عليهم السلام إلى زمن الغيبة (على غائبها آلاف التَّحيَّة والسَّلام).

وكان يوصي ابـنُ طاووس ولدَهُ بالرُّجوع إلى (نهجِ البلاغة)، و (كتاب المفضَّل بن عُمر)، و(كتاب الإهليلجة)[٦٩].

وممَّا يستدلُّ به السـيِّد على تنزيه الله منَ التَّشبيه والتَّجسيم والمكان، فضلًا عمَّا ذكرهُ من دليلٍ عقليٍّ بالآية الشريفة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٧٠]، والأحاديث النبويَّة، وروايات العترة (سلام الله عليهم).

ويعقِّـبُ على الآية الكريمة بقولـه: «فلو كانتْ لله أعضاء لكانت لـه أمثالٌ كثيرةٌ، سبحانَه وتعالى عمَّا يصِفُون»[٧١].

ثُـمَّ قال قدس سره في ما ورد عـن النبيّ وأهل بيته عليهم السلام: «فلا يُحصى إخبـارهُ صلى الله عليه وآله بتنزيه الله، وكذلك إخبار عترته الـمُترجمين عنه...»[٧٢].

ومـع ما تقـدَّم يتَّضح منهج ابن طاووس مـن نزوعه للمنهج النَّقـليِّ، إلَّا أنَّه ينهج المنهـجَ العقليَّ في كثيرٍ من المباحث منهـا: العدل الإلهيُّ، والصِّفاتُ الخبريَّة لله، والقضاءُ والقـدرُ، ويؤول المعنـى الظاهريّ؛ لأنَّه يلزم منه التَّجسـيم والتَّشـبيه، وفي هذا المجال يقـول: «كلُّ صفـةٍ ورد بهـا كتـاب الله من كُتُبِـه الشَّريفة، أو صـحَّ نقلُها عـن الأنبياء، والأوصياء، والأولياء العارفين بصفاته المُقدَّسة المُنيفة؛ فإنَّها لا تشبه صفاتنا، ولا صفات المحدثات»[٧٣].

العلوم الأُخرى في منهج ابن طاووس

كتب السيِّد في علومٍ مُختلفة، منها علمُ الكلام، وله نظريّات فيها، كما أنَّه بذلَ جهودًا

فيها، ويمكن ملاحظة منهجه عبرَ أمرين:

الأمر الأوَّل: منهجه في العلوم

١. العلوم العقليَّة:

لـمَّا كان ابن طاووس ذا اتِّجاهٍ نقليٍّ، ويؤكّد العقـلَ الفطريَّ؛ فمن الطبيعيّ ألَّا يفيد من الفلسـفة في مباحثـه العقديَّة بنحوٍ أسـاسٍ، وحتَّى أنَّـه لم يعتنِ بالمباحـث المنطقيَّة، ونظريَّـة المعرفـة التي اعتاد المتكلِّمون الشروعَ بها في مسـتهلِّ كتبِهـم، كما هو معروف، ويمكن معرفة رأي السيِّد في الفلاسفة في نصِّه الآتي:

«لقـد وجـدتُ الفلاسـفةَ، وأكثر من ضلَّ بغـير عنادٍ، أنَّ ضلالهـم كان من طريق التـوكُّل، والاعتـماد على العقول، والقلـوب، والاجتهاد مع الغفلة عن سـلطان المَعاد، ولقـد كان الله ﷻ أعذر إليهـم، وركب الحجّة عليهم بما أراهـم في العقول، والقلوب، من مماتها بالنِّسـيان، وكثـرة آفاتها، وتفاوت إرادتها بما يظهـر في تصرُّفاتها من النقصان، ما كان كافيًا في ترك الاعتماد عليها، مع سُـقم الغفلة عنه ﷻ بالاسـتناد عليها، مثاله أنّه يجمعُ عقلي، وقلبي، ونفسي، وطبعي على سطر كتاب؛ فإذا فرغتَ منه رأيتَ فيه شيئًا قد كتبته على خللٍ بعيد من الصَّواب، حتّى لو بقيَ ذلك لغلط في مُرادي منه؛ فإذا كان ذلك ممَّـا يعلمـه العبد من حاله؛ فواجبٌ عليه أن لا يثق بغير مـولاه، ولا يعدل أبدًا عنه؛ فلما رأيتُ عقلي وقلبي يغفلان وينسيان من حيثُ لا أدري، ويحصل بذلك ضرّي، وكسري، وجدتُهما لأجل ذلك لا يصلحان للاهتداء، والاقتداء، وسـألتهما بلسـان الحال من أين يعرض لهما حصول الدَّاء؟»(٧٤).

وتحـدَّث أيضًا عن ضلالهم؛ فقال: «وفريق سـمعوا أنَّ هذا العلـمَ [علم النُّجوم] ابتدعه قومٌ غير الأنبياء منَ الفلاسـفة، والحُكماء؛ فهربوا من التَّصديق بشيءٍ من معانيه؛

لئلَّا يقعوا فيما وقع أولئك فيه من الضَّلالة، والتَّشبيه»[٧٥].

كما ذكر أقوالًا باطلةً لهم: «مع أنَّ كلام الفلاسفة في ذلك [قدم العالم]، ومرادهم مفهوم غير متناقض، وإن كان باطلًا»[٧٦].

وأيضًا لهم أقوالٌ قبيحةٌ: «زادوا [أصحاب أبي حنيفة] على الفلاسفة، والمُجبِّرة في سوء الاعتقاد، وقبح القول»[٧٧].

وقال عنهم: «صاروا [أصحاب أبي حنيفة] أقبحَ قولًا، واعتقادًا من الفلاسفة»[٧٨].

ثمَّ ذكر أمثلة على ذلك: «الفلاسفة قالت: إنَّ الهُيولى قديمة، وإنَّها أصلُ العالم، وإنَّ الله ليس له في وجود الهيولى قدرة، ولا أثَرَ؛ لأنَّهم ذكروا أنَّها لا أوَّلَ لوجودها، وهي عندهم مشاركة لله في القِدَم»[٧٩].

وقال: «قد ذكروا [أصحاب أبي حنيفة] في ذلك اعتقادًا يقتضي موافقتهم للفلاسفة في قِدم العالم»[٨٠].

ونقل ﷺ عنهم أنَّهم ينفون الاختيار عنِ الله؛ وبذلك يوافقون المجبِّرة قال: «وممَّا يُقال للمجبِّرة قد رحمناكم لشدَّة غفلتِكم، وخاصَّة الذين يقولون منكم لا فاعل سوى الله تعالى؛ ثمَّ يقولون إنَّ العبد غيرُ مُختارٍ، وإنَّه مضطرٌ فيما يصدر عنه، ويا لله والعجب من جهالاتكم إذا كان لا فاعل سوى الله تعالى، وعندكم، وعند كافَّة أهل الإسلام أنَّ الله تعالى مُختار غير مُضطرٍ، ولا ملجأَ، وكيف صارت أفعاله الصادرة عن العباد في الصُّورة، وهي صادرة عنه في التَّحقيق خارجة عن حكم اختياره، وبطل على قولكم كونه مختارًا، وصرتُم إلى مذهب الفلاسفة في أنَّه جلَّ وعلا غيرُ مُختار»[٨١].

وممَّا ذكره الفلاسفةُ من نظرياتٍ باطلة قولُهم: إنَّ علمَ الله حصوليٌّ، قال السيِّد:

«وقالوا: إنَّ الله يصوِّر منها الصورَ؛ فليس له إلَّا التَّصوير فحسب»(٨٢).

مع ما تقدَّم من مخالفة ابن طاووس الفلاسفةَ نراهُ أحيانًا يردُّ على بعض الآراء بطريقة فلسفيَّة، ومثالًا على ذلك ما قاله بعضُ حول الثَّابت يقول في سياق الردِّ عليهم: «وأمَّا القائلون بثبوت الجواهر، والأعراض في العدم؛ فإنَّهم قالوا: إنَّها ثابتةٌ في العدم، ولا أوَّلَ لثبوتها، وليس لله فيها إلَّا صفة الوجود، ومنَ المعلوم أنَّ هذا القول هذيانٌ، ومتناقضٌ؛ لأنَّ الشَّيءَ إمَّا ثابتٌ موجودٌ، أو معدوم منفيٌّ؛ فإنْ كانتِ الجواهرُ، والأعراض معدومةً؛ فأيُّ معنًى لقولهم: إنَّها ثابتةٌ في العدم، وإنَّها قديمةٌ، وإنْ كان معنى قولهم: إنَّها ثابتةٌ في العدم، وقديمة؛ أيْ إنَّها موجودة في القِدَم، ومتحقِّقة، ومتعيِّنة، ولا أوَّل لوجودها؛ فأيُّ شيءٍ أوجدها اللهُ إذا كان الثُّبوت هو الوجود قديمًا مع الله تعالى، ومستغنيًا عنه»(٨٣).

وأيضًا استعمل تعابيرَ الفلاسفة في وصف الله تعالى قال: «فاعلمْ أنَّنا نعتقدُ أنَّ لنا ربًّا واجبَ الوجود بذاته متفرِّدًا في صفاته»(٨٤).

٢. علم النُّجوم

يُعدُّ ابنُ طاووسٍ ممَّن اعتنى بعلم النُّجوم، وعدَّه حجَّةً؛ إذْ يقول في هذا المجال: «واعلمْ أنَّ الأحاديث عنِ الأنبياء (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليهم السلام) من لدن إدريس عليه السلام إلى النَّاطق من عترة النبيِّ محمَّد، ومن لدُن الملوك الذين ذكرت تواريخهم، وتواريخ العلماء المتردِّدين إليهم... وفيهم من هو حجَّة، وفيهم أعيان معتمدٌ عليهم بتحقيق ما ذكرناه من أنّ علم النُّجوم دلالاتٌ، وعلاماتٌ، وآياتٌ لله جلَّ جلاله باهراتٌ، وحججٌ على عباده ظاهراتٌ...»(٨٥).

وكان يعتمد عليه في الجملة، قال: «وما الذي يعتمد عليه فحضر عندي جماعة

مـن علماء المنجّمين، وكاتبني بعضُ من كان بعيدًا مـنَ العراق من علمائهم الموصوفين، ورصدوا مواليدَ في أوقات متفرِّقة، وسـيّروها، وحوَّلوا عدَّة سـنين، وحرَّروها؛ فكنتُ أجـدُ غلطهم، وخاصَّة في الجزئيَّات أكثر من إصابتهم، وأجد إصاباتٍ تقتضي أنّ الغلط من جهتهم»[٨٦].

كما عدَّه طريقًا عُقلائيًّا، قال: «فإذا أمكن تحصيل معرفة ذلك (وقت الممات) بطُرُقٍ علميّة على لسـان رسولٍ يُخبرهُ عنِ العُلوم الإلهيَّة، وإلَّا فمتى قدر على طريق طبيّة يحترز بها من الضّرر المظنـون؛ فقد أوجب العقلاء الاحترازَ عنِ الضَّرر بكلِّ طريقٍ يمكن، أو يكون، وقد أطبقَ العقلاءُ عـلى تجويز أن تكون النُّجومُ دلالاتٍ، وعلاماتٍ، وأماراتٍ، ونطقت بذلك الروايات من الثقات...»[٨٧].

ولا يخفى عليك ما صنَّفه ابن طاووس من كتابٍ في هذا العلم عنوانه (فرج المهموم في معرفـة نهج الحـلال من علم النجـوم)[٨٨]، تعرّض فيه لموارد الحـلال والحرام وآراء الموافقين والمخالفين له، وهل له أثرٌ، أم لا؟.

وفي هـذا السـياق يقول: «فيما نذكـره عمَّن يقـول: إنَّ النُّجوم لا تصـحُّ أن تكون دلالاتٍ عـلى الحادثـات، اعلـم أنَّ المُنكريـن لذلك من المُسـلمين فِرَقٌ، فريـقٌ لم يقفوا عـلى ما رويناه، ونقلناه، ودللنا عليه من كون النجـوم دلالاتٍ، وأنّها آياتٌ، وهدايات، ولو وقفوا على ما أشرنا إليه لكان يُرجى منهم الاعتماد عليه»[٨٩].

وبالجُملة إنَّ نظريَّة السـيِّد العِلمُ الممنوع في الشَّريعـة، والمحرَّم هو من اعتقد «بأنَّها عللٌ مُوجبات، أو أنَّها فاعلاتٌ مُختارات، وهذا من المُحالات المُحرَّمات»[٩٠].

أمَّـا العلمُ الممـدوح، وهو ممَّـا ينبغي اسـتعمالُه في مباحث علم الكلام، والمسـائل العقديَّـة، يقـول: «واعلم أنّ علـم النُّجوم علمٌ صحيـحٌ في أصله، ولكـن قد تعذَّر

المحقِّقون من أهله، وبعُدَ عليهم تحقيقُ معرفة الأرصاد، وقلَّ الرَّاغبون فيه، وكثُر الطّاعنون على من يريدُه من العباد، والصّحيح منه أنّ العقلَ والشَّرع لا يمنع من أن تكون النُّجوم دلالاتٍ، وأماراتٍ على أمورٍ متجدِّدات...»[٩١].

ويعتقد ابنُ طاووس إنَّ هذا النَّحو من العلم يمكن الانتفاعُ منه في مسائل علم الكلام مثلًا في معجزة بعض الأنبياء (صلَّى الله على نبينا وآله وعليهم السلام) والأئمّة عليهم السلام كنبيّ الله نوح، والنبيّ إبراهيم، والنبيّ موسى، والنبيّ عيسى، والنبيّ محمَّد (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليهم السلام)، والإمام الحجَّة عجل الله فرجه الشريف.

كما يمكنُ الإفادةُ من علم النُّجوم في تحديد القبلة، والسَّنة، والشَّهر؛ فلذا نرى قد أفاد منه كثيرٌ من علماء الإسلام الكِبار، كما هو واضح لمن راجع مصنّفاتهم في هذا المجال، قال السيِّدُ: «ووجدت في أصلٍ من أصول أصحابنا اسمه كتاب (التجمُّل) تاريخ مقابلته يوم الأربعاء لسبع بقين من شعبان سنة ثمان وثلاثين، ومائتين في باب النجوم، بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (قَدْ كانَ عُلِمَ نُبُوَّةُ نُوحٍ بِالنُّجُومِ).

أقول: قد تضمَّن هذا الحديث أنّ نبوَّة نوحٍ عرفها من كان عارفًا بالنُّجوم، وطريقها؛ فكان في علم النُّجوم دلالةٌ على نبوّته، ومنواةٌ لحجته»[٩٢]، وقال: «وأمَّا دلالة النُّجوم على أنّ إبراهيم (صلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وعليه السلام)، نبيٌّ فمنقولة عند علماء الإسلام، ظاهرةٌ بين الأنام»[٩٣]، وقال في موضع آخر: «إنَّ للنجوم دلالةً على نبوَّة إبراهيم، وإنَّ ما ذكرناهُ ها هنا في باب صحَّة علم النُّجوم عن الصّادق المعصوم بصحَّة ما كان لآزر من صحَّة علم النجوم»[٩٤]، وقال: «ومن أخبر المنجمِّون عن نبوَّته، ورسالته موسى ابن عمران صلوات الله على سيِّدنا رسول الله، وعلى من تزيده الصَّلاة من خاصَّة رُسلِ

الله؛ فقد تضمَّنت كتب التاريخ، وغيرها... فذكر في معرفة بعض اليهود بعلم النُّجوم حديث بعثة النبيّ محمَّد... وذكر أبو جعفر محمَّد بن بابويه رضوان اللهِ عليه في الجزء السّادس من كتاب النبوَّة في باب سياقة حديث عيسى ابن مريم عليه السلام؛ فقال ما هذا لفظه: وقدم عليها وفدٌ من علماء المجوس زائرين معظِّمين لأمر ابنها، وقالوا: إنّا قوم ننظرُ في النجوم؛ فلمّا ولد ابنك طلع بمولده نجمٌ لا يفارقه حتَّى يرفعه إلى السّماء...»[٩٥].

وقال: «ووجدتُ في كتاب (درَّة الإكليل في تتمَّة التذييل)[٩٦] تأليف محمَّد بن أحمد ابن عمرو بن حسين بن القطيعيّ في الجزء الثّالث منه عند قوله مفاريد الأسماء على التَّعبيد؛ فذكر في ترجمة عبد الأوَّل بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق الشَّجريّ الأصل، المَرْويّ المولد، الصُّوفيّ، الشَّيخ المُعمَّر، الثِّقة، الموقّت، لابن أبي عبد الله حديثُ دلالة النجوم عند هِرَقل ملك الرُّوم على نبوَّة نبيِّنا محمّد صلى الله عليه وآله والحديث طويل يتضمَّن سؤالَ هِرقل لبعض قريش عن صفات النّبيِّ، ولفظ كتاب النّبيِّ صلى الله عليه وآله إلى هِرَقل؛ ثمَّ قال: ما هذا لفظه: وكان ابن النّاطور صاحب إيلياء، وهرقل أشْفَقَا على نصارى الشَّام؛ فحدَّثَ أنَّ هِرَقل حين فقد إيلياء أصبح يومًا خبيثَ النَّفس؛ فقال بعضُ بطارقته: قدْ أنكرْنا هيأتك، قال ابن النّاطور: وكانَ هِرَقل جيِّد النَّظر في علم النُّجوم؛ فقال لهم حين سألوهُ إنّي نظرتُ الليلةَ في النُّجوم؛ فرأيتُ ملكًا يظهرُ في من يختتنُ من هذه الأمّة؛ فقالوا له: ليس يختتن إلَّا اليهود؛ فلا يهمنَّك شأنهم؛ فاكتبْ إلى مدائن مُلكك يقتلون من فيها من اليهود؛ فبينما هم على أمرهم؛ إذ أُتِيَ برجُلٍ أرسل إلى هِرَقل من مَلِكِ غسَّان يخبره بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلما استخبرهُ هِرَقلُ، قال: اذهبوا فانظروا...»[٩٧].

وذكر أيضًا: «فيما نذكره من دلالة النُّجوم على مولانا المهديّ بن الحسن العسكريّ عليه السلام ذكرها بعضُ أصحابنا في كتاب الأوصياء، وهو كتاب معتمدٌ عند الأولياء»[٩٨].

٣. الفقه:

كان ابـن طـاووس معتنيًا بالفقه وأصوله، وله اطِّلاعٌ واسـعٌ عليه، وقد درسـه في سـنتينِ ونصـفٍ، ومع هذه المـدَّة القصيرة نسـبيًّا، إلَّا أنَّه نال مرتبةً رفيعـةً في هذا العلم الشّريف.

وقد فاق من سبقه في تحصيل علم الفقه من معاصريه، كما شرح السيِّدُ دراسته للفقه؛ فمـن رام الاطِّلاع فعليـه المُراجعة[٩٩]، وكان لا يُفتي لشـدَّة احتياطه وورعه، كما يعتقد بعضُ العلماء[١٠٠]؛ وينصُّ السيِّد على علَّة امتناعه من الإفتاء فيقول: «وأراد بعضُ مشايخي أنّني أدرِّس، وأُعلِّم النَّاسَ، وأُفتيهم[١٠١]، وأسـلك سـبيلَ الرُّؤساء المتقدِّمين، فوجدت الله جلّ جلاله يقول في القرآن الشريف لجدِّك[١٠٢] محمَّد صاحب المقام المنيف: ﴿لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[١٠٣].

فرأيـتُ أنَّ هذا التَّهديد من ربِّ العالمين لأعزِّ عليه من الأوَّلين والآخرين أن يقول عليـه بعض الأقاويل، فكرهتُ وخفـتُ من الدُّخول في الفتوى؛ حـذرًا أن يكون فيها تقوَّل عليه...»[١٠٤].

وقـدْ صنَّفَ كتابًا في مـا وقع من الاختـلاف في الروايات عنوانه (غياث سـلطان الورى لسكان الثّرى)[١٠٥].

وفي ضوء هذه المُعطيات لا يمكن القول: إنَّ ابن طاووسٍ استفاد من الفقهِ في نطاق مسائل علم الكلام.

٤. علم الحديث:

كان عـصر ابـن طـاووسٍ والوضع الاجتماعـيّ، له أثرٌ كبـيرٌ على حياتـه الرُّوحيَّة

والعلميَّة كما لا يخفى على من اطَّلع على تفاصيل عصرهِ.

ويؤمن أنَّ معاشرة النَّاس مانعٌ من التوجُّه إلى الله تعالى، ولذا لم يتداخلْ اجتماعيًّا إلَّا في المناسبات الضروريَّة[١٠٦].

ولعلَّ ابتعادَهُ عن علوم الفقه، والكلام، والعلاقات الاجتماعيَّة، نتج له تخصُّص في نطاق الأدعيَّة والزِّيارات، وما فيها من المستحبَّات في الأيّام والسَّاعات، وأيضًا لديه خبرة واسعة بالكتب التَّاريخيَّة بصبغتِها الرُّوائيَّة، وبنظره هي ما توثِّق علاقة العبد بالله تعالى.

ويعتقد أنّ الحديث هو منشأُ كلِّ العُلوم؛ ولذا كان جلّ اهتمامه هو محوريَّة الحديث، وما يدورُ حوله من آثار.

والجدير بالإشارة له هنا أنَّه لم يؤلِّف في الفقه إلَّا كتابًا واحدًا، ذكر فيه الأحاديث ذات العلاقة بالصَّلاة فحسب، وما فيه من استنباط فهو في السِّياق الروائيّ.

فلا غروَ منْ كان هذا حاله أن يوظِّف علم الحديث في المباحث الكلاميَّة، ويفيد منها أيّما فائدة.

وممَّا تقدَّم يؤذن لنا القول: إنَّ ميْلَ وأُنس ابن طاووس بعلم الكلام النقليّ، لاسيّما في مباحث الإمامة؛ هو ما وظَّفه من علم الحديث في علم الكلام؛ الأمر الذي جعل الطابع العام لعلم الكلام بنظر ابن طاووس هي الرُّوايات.

الأمر الثَّاني: منهجه في مواجهة الآراء والفرق والمذاهب الكلاميَّة

كان لابن طاووس اطِّلاع واسع على الآراء والعقائد المختلفة، ويولي لها اهتمامه أيضًا، وهذا يتجلَّى بوضوحٍ عبرَ ما عنده من كتبٍ يتحدَّث عنها، ويفصِّل القول فيها[١٠٧].

وتكشف مصنَّفاتُه، ومؤلَّفاته ما كان يتمتَّع به من إحاطةٍ شاملةٍ، وكاملةٍ لأقوال المُخالفين، وفرقهم، والاختلاف بينهم، وما إلى ذلك من تفاصيل جزئيَّة، ودقيقة جدًّا.

وانتقد المُخالفين عبر كُتبهم المُعتبرة عندهم[١٠٨]، مع رِعاية أدبٍ كما هي سجيّتُه في البحث والمناظرة[١٠٩].

كما أنَّه يظهر عبر مسفوراته أنَّه كان متسلِّطًا على نظريَّات سائر الأديان المختلفة، وكتبهم كالتوراة والإنجيل، وصحف نبيّ الله إدريس (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليه السلام)، والزَّبور للنبيّ داوود (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليه السلام)[١١٠].

وممَّا نقله في هذا المِضمار في كتابه (كشف المحجَّة لثمرة المُهجة) ما وقعَ له من مناظرةٍ مع بعض أبناء العامَّة، والزيديَّة في مسائل مُختلفة، وما أقام لهم من دليلٍ منطقيٍّ مُحكم، وما كان منهم إلَّا الإذعان، والتَّصديق، وأصبحوا شيعةً[١١١].

ويلاحظ في أسلوب مناقشته أخذ مسلّمات الخصم وهو نحوٌ من الجدل بالتي هي أحسن من آثارهم المُعتبرة، معتمدًا في ذلك على إحاطته بكتبهم وآرائهم؛ فلا مجال للخصم حينئذٍ إلَّا الخضوع، والتَّسليم[١١٢].

ونلمس تطبيق هذا الأسلوب منه في مباحث الإمامة ونقد الخلافة، وإثبات نظريَّته، والدِّفاع عنها، وانتقادهم أيضًا عبر كتبهم[١١٣].

ففي كتابه (الطَّرائف في معرفة مذاهب الطَّوائف) ذكر أدلَّةً على حقَّانيَّة الإمامة، نقلهُ من كتب أبناء العامَّة؛ فحسب.

وكانتِ السِّمةُ في أسلوب ابن طاووس في المُناظرات هو الجِدال بالتي هي أحسن، بعيدًا عن اللعن والسَّبِّ، ويمكن رصد هذا عبر مُراجعة كتبه[١١٤].

ونـراهُ في بعض الموارد لاذعًـا في نقده[١١٥]، وأحيانًا في موارد يحقِّر ويسـتهين[١١٦]، والظَّاهر كان هذا منه بحسب ما يقتضيه الزَّمان وشروطه، وإلَّا لو كان الآن؛ فلا يكون مطلوبًا، أو مرغوبًا فيه.

الخاتمة

إنَّ السِّمة البارزة لابن طاووس في المباحث المعرفيَّة هو التأكيد على العقل الفطريّ والبدهيّ، ويمنح الأصالةَ للكتاب الكريم، والسنَّة الشَّريفة على النَّزعة العقليَّة والكلاميَّة، ويؤمن أنّ العقل الفطريّ معصومٌ، وينبغي إعماله.

ويعتقد أنَّ وظيفة العلماء والمفكِّرين إرشادُ النَّاس إلى وجود الله تعالى.

وعبر مراجعة كتبِهِ وآثاره اتَّضح أنَّه يخالفُ طريقة الاستدلالات الكلاميَّة والنَّزعة الفلسفيَّة، ولكن عمليًّا استدلَّ على مسائلَ بطريقة المتكلِّمين ونهج الفلاسفة، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

وتنبئُ هذه الطَّريقة لابن طاووسٍ عن عدم ضرورة علم الكلام بنظره، وأمَّا تطبيقه للمنهج الكلاميّ والفلسفيّ في مواردَ معيَّنة تكشف عن عدم معارضته للاتِّجاه الفلسفيّ، والكلاميّ بنحوٍ عامٍّ، والظاهر: هذا الموقف النقديّ لابن طاووسٍ للنزعة العقليَّة الذي يفيد الظنَّ لا مطلقًا، ومن المصاديق الواضحة لهذا المنهج همُ المُعتزلة.

ويسجِّل ابن طاووسٍ على هذا المنهجِ من أنَّ طريقته بعيدة من اليقين، وكثيرة الاحتمال لشبهات المُعترضين، ولا نهايةَ لها، وذكر أنَّ معرفة المعارف الإلهيَّة ممكنةٌ من دون هذه التَّعقيدات بفطرة العقل، ويصرَّح من أنّ الانشغال بهذه الطُرق مضيعة للعمر.

وما حرَّره السيِّد من ردود على علم الكلام بصيغته الاستدلاليَّة، غير تامَّةٍ، تاركين مناقشتها إلى فرصةٍ أُخرى إنْ شاء الله تعالى.

هوامش البحث

(١) أستاذ بارز في حوزة قم المقدَّسة، متخصِّص في علم الكلام، له دروس ومؤلَّفات في علم الكلام القديم والجديد وفلسفة الدين والهرمينوطيقا.

(٢) أستاذ في حوزة قم المقدَّسة.

(٣) راجع تفصيل ذلك على سبيل المثال: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١/ ٤١١، ٢/ ٤٩ و٢٧٨، ٤/ ٤٧٦، ٥/ ٥٢، ٨/ ١٧٨، ١١/ ٢٣٦، ١٣/ ٢٥٦، ١٦/ ٣٠٣، ٢٠/ ٣٠٥، ٥/ ٣٥٥.

(٤) لاحظ: أعيان الشيعة: ٢/ ٢٠٧ ، ومستدركات أعيان الشيعة: ٣/ ١٨٩، وفهرس التراث: ١/ ٦٥٦.

(٥) انظر: الذريعة: ٤٣١.

(٦) راجع: أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٦٢.

(٧) لاحظ: أمل الآمل: ١/ ٢٤٩.

(٨) ذكره بالذريعة هكذا، بإضافة (بعد المات). انظر: الذريعة: ٣/ ١١١. د. عليّ الأعرجيّ.

(٩) أو ثمرة المُهجة، وهو وصايا ومواعظ لولده. د. عليّ الأعرجيّ.

(١٠) نعم وردت هذه التسمية في إجازته لجمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشاميّ، في البحار: ١٠٤/ ٤٥-٤٦. د. عليّ الأعرجيّ.

(١١) بصفتها العقليَّة.

(١٢) لاحظ: كشف المحجَّة لثمرة المهجة:٩٣.

(١٣) المصدر نفسه:٧٠.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٤٧.

(١٦) «ثمَّ يسلك به سبيل معرفة النبوَّة و الإمامة على قاعدة تعريف النبيّ والأئمَّة، ومن سلك سبيلهم من أهل الاستقامة، فهذا كان كافيًا لمن يريد تحصيل السلامة وسعادة الدنيا ويوم القيامة». كشف المحجَّة لثمرة المهجة:٧٠.

(١٧) وفي هذا المجال يقول ابن طاووس: «إنَّما يحتاج إلى معرفة صفات هذا المؤثِّر والصانع، ويثبت

صفاتـه عنده بأسـهل مـا يريد منه مـولاه ﷻ من تكليفه بتدبـير صاحب الشرائع، وتسـليمه من القواطع ومن خسارة عمر ضائع». المصدر نفسه.

(١٨) ومراد (السـيِّد) من فطر العقل هو الأسـاس الفطريّ، وقد أشـار إليه في كتابه (كشف المحجَّة: ٤٨): «أقول: ولأجل شـهادات العقول الصريحة، والأفهام الصحيحة بالتصديق بالصانع أطبقوا جميعًـا على فاطـر وخالق، وإنّـما اختلفـوا في ماهيَّته وحقيقة ذاتـه، وفي صفاته بحسـب اختلاف الطرائـق. أقـول: وإنَّني وجدت قد جعل الله ﷻ في جملتي حكـمًا أدركته عقول العقلاء، فجعلني من جواهر وأعراض، وعقل روحاني، ونفس وروح».

(١٩) فكيـف جاز أن يعدل ذوو البصائـر عن هذا التنبيه الباهر القاهر عند كمال العقول إلى أن يقولوا للإنسـان الكثير الغفول- وقد علموا أنّه قد نشأ في بلاد الاسلام، ورسخ في قلبه حبِّ المنشأ لدين محمَّد، وأنس بسماء المعجزات والشرائع والأحكام، وصار ذلك له عادة ثابتة قوية معاضدة لفطرته الأزليَّـة-: إنّك مالك طريق إلى معرفـة المؤثر والصانع، الذي قد كان عرفه معرفة مجملة بأثره قبل إرشـاده، لا بنظره في الجوهر و الجسـم و العرض وتركيب ذلك على وجـه يضعف عنها كثير من اجتهاده. المصدر نفسه.

(٢٠) وإيَّاك وما عقدت المعتزلة ومن تابعهم على طريقتهم البعيدة من اليقين، فإنني اعتبرتها فوجدتها كثيرة الاحتمال لشبهات المعترضين، إلَّا قليل منها سلكه أهل الدين. المصدر نفسه.

(٢١) في النص الأصلي (موكولًا) بتخفيف الهمز، فلاحِظ.

(٢٢) المصدر نفسه: ٥٢.

(٢٣) راجع تفصيل ذلك في: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٢.

(٢٤) سورة الروم: ٣٠.

(٢٥) سورة الحجرات: ١٧.

(٢٦) سورة النور: ٢١.

(٢٧) قد تضمَّن كما ذكرت لك كتاب الله ﷻ، و كتبه التي وصلت إلينا، و كلام جدك رسول الله ربّ العالمـين، و كلام أمـير المؤمنين، و كلام عترتها الطاهرين، مـن التنبيه على دلائل معرفة الله ﷻ بما في بعضها كفاية لذوي الألباب و هداية إلى أبواب الصواب. كشـف المحجَّة لثمرة المهجة، فصل: ١٥.

(٢٨) المصدر نفسه: ٤٨.

(٢٩) المصدر نفسه: ٥٥.

(٣٠) المصدر نفسه: ٥٤.

(٣١) المصدر نفسه: ٥٣.

(٣٢) لاحظ: المصدر نفسه: ٥٩.

(٣٣) راجع: المصدر نفسه: ٥٥.

(٣٤) انظر: المصدر نفسه: ٥٦.

(٣٥) راجع تفصيل ذلك في: المصدر نفسه: ٦٤.

(٣٦) لاحظ: الظرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٠.

(٣٧) راجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٩، و٦٨.

(٣٨) المصدر نفسه: ٦٠.

(٣٩) يذكر (السيِّد) مثالًا للتفريق بين منهج الأنبياء (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليهم السلام) والمعتزلة فيقول:

«إنَّني وجدتُ مثال شيوخ المعتزلة ومثال الأنبياء عليهم السلام مثل رجل أراد أن يعرِّف غيره أنَّ في الدنيا نارًا موجودة، وذلك الرجل الذي يريد أن يعرف وجودها قد رأى النار في داره وفي البلد، ظاهرة كثيرة بين العباد ما يحتاج من رآها الى المعرفة بها إلى نظر ولا اجتهاد فقال له: هذا يحتاج في معرفته إلى إحضار حجر النار وهو في طريق مكَّة؛ لأنَّ كلَّ حجرٍ ليس يكون في باطنه نار، ويحتاج إلى مقدحة ويحتاج إلى محراق، وأن يكون الإنسان في موضع سليم من شدة الهواء لئلا يذهب بالحرّاق ويطفئ ما يخرج من الحجر من النار فاحتاج هذا المسكين إلى تحصيل هذه الآلات من عدَّة توسُّلات.

ولو كان قد قال له من مبدأ الأمر هذه النار ظاهرة بين العباد هي النار الكامنة في الحجر والشجر، كان قد عرف وجود النيران على العيان والوجدان واستغنى عن ترتيب الدلالات وتحصيل البرهان». كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٥.

(٤٠) يقول ابن طاووس: «إنَّ طرق المعرفة بالله جلَّ جلاله بحسب معلوماته ومقدوراته على الأنام، ولا ينحصر عددها بالأفهام». كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٦.

(٤١) لاحظ: المصدر نفسه: ٥٥.

(٤٢) وله عبارة في كتابه (فرج المهموم) بعد أن نقل وجهًا لبعض العلوم في مسالة قال: «وذكر وجوهًا صحيحة لكنَّها على طريقة المتكلِّمين في إطالة الألفاظ والتعقيد على السامعين». فرج المهموم: ٧٥.

(٤٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٥.

(٤٤) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٤٣، ٤٦-٤٧.

(٤٥) لم يختلف اللغويون في مسألة جمع طريق وطريقة، ولكن عند استعمالها في لغة الاصطلاح

يختلف الأمر، وهو كما عند الدكتور حسين عليّ محفوظ﵀ مصطلح مستقرّ أن تقول طرُق الحديث، لا طرائقه، والذي عنّ لي عند مراجعة كتب الشيخ الطوسيّ﵀ وجدته يقول طرائق الحديث، لا طرق الحديث، فتكون هذه التسمية المصطلحيَّة متأخرة، لا عن تراكم استعماليّ، ورسوخ مصطلحيّ. د. عليّ الأعرجيّ.

(٤٦) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٤.

(٤٧) بحار الأنوار: ٢/ ١٣٧.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) المصدر نفسه.

(٥٠) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٣.

(٥١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٤٦.

(٥٢) لاحظ: المصدر نفسه.

(٥٣) انظر المصدر نفسه: ٣٤٧.

(٥٤) راجع: المصدر نفسه: ٣٥٤.

(٥٥) لاحظ: تفصيل ذلك: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٢٠.

(٥٦) انظر تفصيل ذلك: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٤٣.

(٥٧) لاحظ: المصدر نفسه: ٣١٣.

(٥٨) راجع: مصباح الزائر: ١٢، وفلاح السائل: ٥.

(٥٩) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٩.

(٦٠) راجع الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٩.

(٦١) المصدر نفسه: ٣٥٩.

(٦٢) راجع: فرج المهموم في معرفة نهج الحلال من علم النجوم: ٨٤.

(٦٣) انظر: مصباح الزائر: ١١.

(٦٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٦.

(٦٥) راجع تفصيل ذلك: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٨٥، ومصباح الزائر: ١١.

(٦٦) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨.

(٦٧)المصدر نفسه، وانظر: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٨٠.

(٦٨) لاحظ تفصيل ذلك: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٨٠ وما بعدها.

(٦٩) راجع: المصدر نفسه: ٥١.

(٧٠) سورة الشورى: ١١.

(٧١) انظر تفصيل ذلك: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٤٦.

(٧٢) المصدر نفسه.

(٧٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧١.

(٧٤) جمال الأسبوع: ٤.

(٧٥) فرج المهموم: ٢١٨.

(٧٦) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٥٨.

(٧٧) المصدر نفسه: ٣٥٧.

(٧٨) المصدر نفسه: ٣٥٨.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) المصدر نفسه.

(٨٢) المصدر نفسه.

(٨٣) المصدر نفسه: ٣٥٨.

(٨٤) المصدر نفسه: ٩.

(٨٥) فرج المهموم:٣.

(٨٦) المصدر نفسه: ٤.

(٨٧) المصدر نفسه: ٧-٨.

(٨٨) جاء في آخر الكتاب «وهذا آخر ما ورد على خاطري أن أذكره في كتاب فرج المهموم في معرفة منهج الحلال والحرام من علم النجوم»: ٢٦٠، وفي الذريعة: ١٦/ ١٥٦ (فرج المهموم في معرفة نهج الحلال والحرام من النجوم، أو بمعرفة منهج الحلال ونسخة الحرام من علم النجوم، أو ... في تاريخ علماء النجوم). د. عليّ الأعرجيّ.

(٨٩) المصدر نفسه: ١٦.

(٩٠) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩٤.

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) المصدر نفسه الباب الخامس والسادس.

(٩٣) فرج المهموم: ٢٤.

(٩٤) المصدر نفسه: ٨٩.

(٩٥) المصدر نفسه.

(٩٦) انظر: ترجمة القطيعيّ في: سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٨، الذيل على طبقات الحنابلة: ٤/ ٢١٢، معجم المؤلِّفين: ٢/ ١٣٨. د. عليّ الأعرجيّ.

(٩٧) المصدر نفسه: ٢٧-٣٥.

(٩٨) المصدر نفسه: ٣٦.

(٩٩) لاحظ تفصيل ذلك: كشف المحجَّة لثمرة المهجة، الفصل: ١٤٣.

(١٠٠) راجع: البحار: ١٠٤/ ٤٦.

(١٠١) في النصّ الأصليّ: (أفتِهِمْ) على الجزم، والصواب هو المثبت. د. عليّ الأعرجيّ.

(١٠٢) الخطاب لولده محمَّد، وهذا النص ضمن الوصيَّة له.

(١٠٣) الحاقَّة: ٤٤-٤٦

(١٠٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة، الفصل: ١٢٥.

(١٠٥) انظر: أعيان الشيعة: ٨/ ٣٦٢، الذريعة: ١٦/ ٧٣. د. عليّ الأعرجيّ.

(١٠٦) المصدر نفسه.

(١٠٧) للسيِّد في وصيَّته لابنه تفاصيل عن العلوم والكتب المهمَّة فيها وما إلى ذلك. راجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة، الفصل: ١٤٣.

(١٠٨) راجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٥٨.

(١٠٩) المصدر نفسه: ٣٥٨.

(١١٠) المصدر نفسه، الفصل الأوَّل والثاني.

(١١١) انظر تفصيل ذلك في: كشف المحجَّة لثمرة المهجة، الفصل: ٩٨-١٠٢.

(١١٢) لاحظ أمثلة على ذلك في: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢٨٩-٢٩٥.

(١١٣) انظر: المصدر نفسه.

(١١٤) لاحظ: كشف المحجَّة لثمرة المهجة، الفصول: ٦٠ و٦١ و٩٢، والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٥٨.

(١١٥) انظر: كشف المحجَّة لثمرة المهجة، الفصول: ٨٨-٩٠.

(١١٦) راجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٤٧.

المصادر المراجع

١. الأمين، السيِّد حسن، مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٢. الأمين، السيِّد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٣. آقا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، إسماعيليان، قم، وكتابخانه إسلاميّ، طهران.
٤. الحرّ العامليّ، أمل الآمل، مكتبة الأندلس، بغداد، النجف الأشرف.
٥. الحسينيّ الجلاليّ، السيِّد محمَّد حسين، فهرس التراث، انتشارات دليل ما، قم.
٦. السبحانيّ، جعفر، معجم طبقات المتكلِّمين، مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم.
٧. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، سعد السعود للنفوس منضود، دار الذخائر، قم.
٨. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، الشريف الرضيّ، قم.
٩. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، فرج المهموم في معرفة نهج الحلال من علم النجوم، دار الذخائر، قم.
١٠. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، كشف المحجَّة لثمرة المهجة، تحقيق الشيخ محمَّد حسُّون، مؤسَّسة بوستان كتاب، قم.
١١. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، مطبعة الخيام، قم.
١٢. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، فلاح السائل، دفتر تبليغات إسلاميّ، الحوزة العلميَّة، قم.
١٣. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، منشورات مؤسَّسة الأعلمي.
١٤. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، مصباح الزائر، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
١٥. السيِّد ابن طاووس، عليّ بن موسى، إقبال الأعمال (الطبعة الجديدة)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، مركز النشر.
١٦. الصدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه، التوحيد، انتشارات جماعة المدرِّسين، قم.
١٧. المجلسيّ، العلَّامة محمَّد باقر، بحار الأنوار، بيروت، الوفاء.